الاستراتيجية الحجاجية في رسائل ابن ابي الخصال الاندلسي
(دراسة تداولية)

أ.د. مؤيد مهدي فيصل
m.fasal@utq.edu.iq
قسم للغة العربية-كلية التربية للعلوم الانسانية-جامعة ذي قار- ذي قار- العراق

م.م. رحاب فياض شنين
رئاسة جامعة ذي قار- ذي قار- العراق
Rihab.fad@utq.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الإستراتيجية الجدلية ، التداولية ، ابن أبي الخصال ، الأندلس

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تبيان آليات الاستراتيجية الحجاجية في رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي (ت 540 هـ) ، والوقوف على ادواتها التضمينية والتوجيهية و التلميحية داخل خطاباته الإقناعية والتأثيرية ، ذلك أن التأثير والإقناع في أي خطاب لغوي لا غنى له عن عنصر القصد والغاية ودورِهما في تحديد سلوك المتلقي داخل الخطاب سواء كان ذلك الخطاب صادقًا أم كاذبًا.

THE ARGUMENTATIVE STRATEGY IN THE LETTERS OF IBN ABI AL-KHASAL AL-ANDALUS (DELIBERATIVE STUDY)

Prof. Muayyad Mahdi Faisal
Department of Arabic Language-College of Education for Humanities - University of Thi Qar - Thi Qar - Iraq
m.fasal@utq.edu.iq

Rehab Fayyad Shannen
Presidency of Thi Qar University – Thi Qar – Iraq

key words: The argumentative strategy, deliberative, Ibn Abi Al-Khasal, Andalusia

Abstract

This research aims to clarify the mechanisms of the argumentative strategy in the letters of Ibn Abi Al-Khasal Al-Andalus (d. 540 AH), and to identify its implicit, directive and allusive tools within his persuasive and influential discourses, because influence and persuasion in any linguistic discourse are indispensable for the element of intent and purpose and their role in determining The behavior of the recipient within the speech, whether that speech is true or false.

المقاربة الحجاجية (الحجاج في التداولية) :

تعدّ اللغة المنطلق الأساسي لنظرية الحجاج , بوصفها الأداة المثلى للتواصل والتفاهم والتعبير عن ما تضمره النفس الإنسانية من معانٍ ودلالات, ولأن اللغة وسيلة تواصل وتفاعل بين الأطراف المتحاورة , فهي تستدعي آليات إشارية إقناعية تغني النص, وتقوي من دلالاته , وتفسر ظواهره الخطابية الشعرية والنثرية .

إن مقتضى التداول يدل على معنى التحول والتبدل , فقد جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395 هـ) : أن الدَّال ((يَدُلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكانٍ إلى مكانٍ))[1] , ولابد لهذا التحول من إحداث حركة وتفاعل بين طرفي العملية التواصلية (المرسل/ المرسل اليه) , متمثلاً في الحجة التي يتم من خلالها التفاعل و ((الكشف عن المغيبات المتضمنة داخل الخطاب))[2] لذا يُعرف الدكتور طه عبد الرحمن الحجاج من جهة تداولية بقوله : ((جملة من الآليات الاستدلالية التي تعتمد الإمكانات الاستدلالية الخاصة باللسان الذي يتداوله المُستدل))[3] .

ترتبط النظرية الحجاجية لمؤسسها الفيلسوف ازفالد ديكرو بنظرية أفعال الكلام للغويين (اوستن وتلميذه سيرول) , إذ يرى ديكرو أن الألفاظ اللغوية ليست صورا دلالية بل هي ألفاظ موجّهة لغاية ما في نفس المتكلم أي إن ((الموقف المبدئي من التداولية المدمجة , هو أن اللغة تحقق أعمالا لغوية , وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون))[4].

ويعرف ديكرو الحجاج بقوله : ((يقوم متكلم ما بفعل الحجاج عندما يقدم قولا (ق1) أو (مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر(ق2) أو (مجموعة أقوال اخرى)))[5] , أي إن الحجاج عنده هو إنجاز لعملين داخل الخطاب هما : إنجاز متواليات من الأقوال أي التصريح بالحجج , وعمل الاستنتاج الذي هو بمثابة النتائج المستخلصة منها[6] , وعليه فإن اللغة تؤدي ((وظيفة حجاجية انطلاقا من بنية اقوالها))[7] , وهذا ما تبحث عنه التداولية عبر دلالات محددة يفرضها توالي الحجج في الخطاب الشعري.

وعليه فإن الحجاج خاصية تداولية ووسيلة إقناعية في الوقت نفسه, كلاهما يعمل على تحليل الكلام والمعنى الذي يقصده المتكلم بصفة خاصة, ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراء عملية التواصل بشكل عام [8].

الآليات اللغوية في الاستراتيجية الحجاجية:

تمتلك الاستراتيجية الحجاجية العديد من الآليات التي تؤدي دورا مهما في بنية الخطاب الشعري , لذا فقد شكلت رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي دلالات ومعاني تداولها برؤيته وفلسفته الخاصة مررها إلى سامعيه من خلال تلك الآليات التي اعتمدها لإقناع جمهوره , وتضم هذه الاستراتيجية مجموعة من الوسائل التضمينية و الوسائل التوجيهية وقد اخترنا منها أكثر الآليات اللغوية استعمالاً وتداولاً في رسائل ابن ابي الخصال :

اولا: الآليات اللغوية في الاستراتيجية التضمنية

1- **العلم** : يدل على اسم شخص أو كنية أو لقب , وقد تداوله ابن أبي الخصال في أغلب خطاباته الشعرية والنثرية , لكونه من الآليات المهمة في توجيه المرسل إليه والتضامن معه, غرضها ((أن تكسر كل حاجز التفاوت بين المتكلمين , لتجعله من درجة أكثر قرباً ممن يخاطبهم , وبالتالي يكون التأثير فيهم أكثر فعالية))[9] , ولأن الشاعر من أصحاب السلطة , فقد عمل وزيراً لدولة المرابطين, وتوليه الولاية على بلنسيه سنة (502 هـ)[10] , وبحكم صلاته بالأمراء والولاة والقادة , دفعه هذا للتقرب من مخاطبيه ومحاولة إقناعهم بأقواله وتبنيها, نحو قوله في رسالة إلى الأمير أبي إسحاق بن يوسف بن تاشفين[11] :

(من البسيط)

في امر (قورِيّة) سِرٌ ومُعْتَبَرُ هل للكواكب في استفتاحها أَثَرُ
حتى انتحاها أبو إسحاق والقدرُ وعزمةٌ مالهم من دونها وَزَرُ
كالسيل في الليل ذي التَّيار والحَدَبِ

هو يخاطب(ابو اسحاق) من باب التضامن والتقرب من البطل المنقذ لـ (قوريّة) تلك المدينة الأندلسية التي عانت من ويل حروب الاسترجاع الصليبية , لكن هذا الاستعمال وإن أتى في سياق

المدح , إلا أنه رسالة غير مباشرة لأهل الأندلس , لمقاتلة العدو والحفاظ على أراضيهم من الضياع.

ويحذر الأمير من عواقب الغفلة والتهاون في ردع العدو فيقول مادحاً [12] : (من البسيط)

هذا حديثٌ إلى الرَّحمن مصعدُه ... ويوسفُ عن يمين الله مقعدُهُ

وروحُه الطيّبُ الزاكي سَيشهدُه ... وأحمدُ ثمّ عند اللهِ يَحمدُهُ

عن العبادِ وعينُ اللهِ لم تَغِبِ

يوظف الكاتب هذه المرة الاسم الأول للأمير (يوسف) , ليصور للسامع أن الأمير متضامن مع رعيته , وانه مصدر حماية وقوة لهم , ومع التصريح بذكر الاسم الأول ((تكمن الصعوبة في معرفة قصد المرسل دون الإحالة على سياق التلفظ))[13] , فقد يؤَّول القصد تأويلاً ثانياً يفرضه السياق وهو أن : الرعية هم أيضا مصدر قوة وأمان للأمير ولدوام ملكه إذن, فليحذر .

2-**الفاظ المعجم** :وهي أن يختار المتكلم ألفاظاً تنوب عن الألقاب والكنية , فيجعلها مؤشرا قويا في خطابه[14] , وهي متداولة في رسائل ابن أبي الخصال , إذ جعل منها وسيلة لتمرير أفكاره ونواياه المشروعة في تعظيم ذاته ورفع قدره , يقول في رسالة له إلى صديق : ((**ليس الودُّ – أعزك الله- بتزويق اللسان ولا تنميق البنان ... وإنما هو ما وقَّر في الفؤاد ورسخ في الاعتقاد , وثبت في مواطن الاعتداد, ولبس الجدة والقدم وخامر اللحم والدم , وتلك سبيلنا المستمرة وحالنا المُستقرة, التي لا تنفصم – بحول الله-**))[15] , والشاهد :(أعزك الله) , استدلال على أن المرسل متضامن مع المرسل إليه وقريب منه , والحقيقة أن المتكلم يمدح نفسه فمن المنطق ما يوصف به طرف ينطبق على الآخر فكل قرين بقرينه يقتدي, وعليه فان الصفات الجيدة والأخلاق الطيبة راسخة فيه وهي من صفاته وقد خالطت دمه ولحمه .

3-**الإشاريات:** هي علامات تُنتج في سياقٍ ما, ((تكتسب وظيفتها من خلال علاقة سببية مع ما تشير إليه ؛ مثل الدخان الذي يكون علامة على النار))[16] , ولأنها علاقة سببية , تُعد الاشاريات بفروعها الثلاثة (الأنا , الهُنا , الآن) , جوهر الدرس التداولي الحجاجي , والمؤشر القوي على معرفة قصدية الخطاب أو القصد الذي يسعى إليه المرسل, ولاستعمالها فوائد كثيرة منها: ((تأسيس العلاقة الاجتماعية ,والإسهام في تطويرها, وقد تكون مؤشرا على الانتماء إلى جماعة معينة , مثلا,

أو دليلاً على الاتفاق معها في الرأي , خصوصاً إذ لم يسبق للمرسل إليه معرفة ذلك الرأي أو التلفظ به من قبل المرسل))[17] , وتقسم الإشاريات على خمسة أنواع : الشخصية والزمانية والمكانية والخطابية والاجتماعية , تم تداولها جميعها في رسائل ابن أبي الخصال , وهدفه منها تحفيز المتلقي وإشراكه في بناء العملية الحجاجية داخل الخطاب ومنه , خطبة له يذم فيها الدنيا ويحضُّ على الجهاد قائلاً: ((**لا عتب لكم عليها ! قد أَمَّتكم جهاراً بأحجارها , ولدغتكم مراراً من أجحارها ...وانتم على ذلك تتهافتون تهافت الفَراش على حُطامها ونارها**))[18] , استعمل الكاتب في خطابه الضمير(انتم) , ليقنع المُخاطَبين بانهم محط اهتمامه , وبانه منهم , وبحجة السلطة أعطى لنفسه الحق بنصحهم وحثهم على الجهاد والتحذير من عواقب التخلف عنه .

وقد تنوعت الضمائر الشخصية في رسائل ابن أبي الخصال ((ولهذا التنوع أثره البارز في التعبير عن أغراض الشاعر والأفكار التي يريد إيصالها إلى المتلقي))[19] , إذ يقول [20] :

(من مجزوء الرمل)

لنا قاضٍ له خُلقٌ أقل ذميمه النَّزقُ

إذا جئناهُ يحجبنا فنلعنه , ونفترق

وأراد من استعمال ضمير المتكلم (نا) , أن يُبين للسامع عن طريق السخرية , عدم كفاءة القاضي , فيُعطي برهاناً عقلياً غير قابل للرد , إذ لا تجتمع الحكمة والعقل مع (النَّزق) وهي الخفة والطيش.

وكون صاحب الرسائل رجل دين إلا ان هذا لم يمنعه من التودد والافصاح عن مشاعر الحب إلى من أحبهم ولاسيما بعد فقدانهم , لذا يلجا إلى تكرار الضمير, ليبين عظم مكانة المعشوقة المرثية , ويسرد ألم فقدانها , قائلاً[21] :

...

(من الطويل)

فيا أيُّها العِلْقُ الذي قد سُلِبْتُهُ مكانُكِ من قلبي مَكانُكِ فاعْلَمِ

وشَخَصُكِ في عَيْني ونَشْرُكِ في يدي وصَوْتُكِ في سَمْعي وَذكراكِ في فَمي

ليهنِئْكِ أَنْ سرَّتْكِ حالٌ تسوؤُني : سُهادي وإطراقي وفَرْطُ تألُّمي

اكد من خلال تكرار الضمير المتصل (ك), عظيم مأساته بفقدان المعشوقة وشدة تعلقه بها, الأمر الذي يدفع المتلقي إلى التفاعل معه وأن يعيش مع المرسل لحظات الوجع, ولعل غاية الكاتب إظهار جزعه من الحياة بعد أن رحل منها الأحبة.

و يقول[22] في مقدمة طللية له امتزج فيها الغزل بالرثاء :

... (من الطويل)

وما جر هذا النَّوحَ إلاَّ ترنُّمٌ يُقِرُّ لــهُ بالفَضْـلِ كـلُّ تَرَنـُّمِ

وفَتّــانةُ الألفاظِ في نَغَماتِها من السُّكرِ ما في البابليِّ المُحَرَّمِ

جاء المؤشر الحجاجي (هذا), للدلالة على عمق المشاعر وصدق الأحاسيس , وهو ذلك النوح الذي ساد في ذات المرسل وسلب عقله, وبالتالي فإن الكاتب يؤسس لعلاقاته الاجتماعية و يتواصل مع ذوي المرثية ويخفف عنهم عظيم مصابهم .

أو قد يكون المؤشر اللغوي دلالة على الضعف وقلة الحيلة ,حين يكون الخطاب صادر من مرتبه اقل , ومن ذلك مناجاتٍ له لبلوغ الكعبة المشرفة يقوله فيها : ((**اللهم لا تحرمني طيب طيبة, وأنخ هذه الشيبه بباب بني شيبة**)) [23], من الناحية الدلالية هو يحتج بضعفه وعجزه عن طلب الخير لنفسه لذا يتضرع الى الله تعالى بوصفه سلطة اعلى, ولان حاجة الكاتب لبلوغ الكعبة شديدة استعمل اسم الإشارة (هذه) للدلالة على القريب, وهو قرب تحقيق غايته, والحقيقة التداولية اراد الكاتب ان يلفت انتباه السامع الى حسبه ونسبة بلالة قوله (بني شيبة) فهو من اهل مكة وجذوره متأصلة فيها وان باعدت به الأسفار.

ويجعل ابن أبي الخصال من الاشاريات الزمانية والمكانية , مادة حجاجية تدعم عملية التواصل مع المتلقي وتتقرب منه , وتضمن ذلك برسالة له بعثها إلى الامير ابي اسحاق يقول فيها: ((**وما الدهرُ إلا انفاسٌ وبرقٌ خلاس , قُصاره – وإن أطالَ – ذكرٌ ومحصوله – وإن أنالَ – توهمٌ أو فِكر**))[24], فالمؤشر الحجاجي (الدهر) لا يشير إلى معناه الدلالي (الزمن), بل يشير إلى (عمر الأنسان), وبحجة الذات اختار الخطيب توجيه أقواله بما يعزز غايته التداولية في تنبيه الأمير من الغفلة وتحذيره منها .

لاشك إن المؤشر الزماني يتمتع بقوةٍ حجاجية قادرة على الإقناع والتسليم بصحة أقوال المتكلم لهذا يضع ابن أبي الخصال المؤشر الزماني (الدهر) في اعلى السلم الحجاجي لتتوالى بعدها الحجج من الأقوى إلى الأضعف, ويتمثل ذلك في قوله راثياً [25]:

(من البسيط)

الدَّهرُ ليس على حُرٍّ بمُؤتَمنِ وأيُّ عِلْقٍ تَخطَّتهُ يَدُ الزَّمَنِ ؟

يأتي العَفاءُ على الدُّنيا وساكِنِها كأنَّ آدمَ لم يَسْكُن إلى سَكَنِ

يا باكياً فُرقة الأحبابِ عن شَحَطٍ هَلاَّ بَكَيتَ فِراقَ الرُّوحِ للبَدنِ؟

جاء المؤشر الزماني (الدهر) بمعنى الموت وهي الحجة العقلية الأقوى على الأطلاق, فكل بني ادم ميتون ويستدل الكاتب بالماضين منا كلهم قد ماتوا ورحلوا دون استثناء , وهو بهذا يتضامن مع اهل الفقيد ويتقرب منهم من خلال مشاركتهم الحزن والالم .

والواقع أن تداول المؤشرات الزمانية والمكانية في رسائل ابن أبي الخطيب تركت أثراً مهماً في الكشف عما تكنه خطاباته النثرية والشعرية من معانٍ أرادها أن تصل إلى وجهتها بأسلوب مقنع يثبت صدق ما يدعيه, يقول في رسالة له إلى الخليفة : ((**والفيتُ الحضرة – حَرسَها الله – وقد اخذ السرورُ من اهلِها كل مأخَذ, وسرى فيهم كل مسرى ومنْفَذ**))[26] , جاء المؤشر المكاني (الحضرة) , مؤشراً حجاجياً قوياً للتواصل مع المتلقي , وأخباره ضمناً بولاء اهل الحضرة وطاعتهم للخليفة واستعدادهم للدفاع عن مدينتهم .

ذلك أن المكان شكل نقطة التقاء شعراء الأندلس ومحط اهتمامهم فلم يتركوا مناسبة إلا وعبروا بها عن حبهم لموطنهم الأندلس واشتياقهم اليه, يقول ابن ابي الخصال في قرطبة [27] :

... (من الطويل)

أ قُرْطُبَةٌ لم يَثْنني عنكِ سلوانُ ولا بَعْدَ إخواني بمغناكِ إخوانُ

وإني إذا لم أُسقَ ماءَكِ ضمآنُ ولكن عَداني عنكِ خَطبٌ له شانُ

وموطنُ آثارٍ تُعَدّ وتُكتَبُ!

التصريح باسم المكان (قرطبة) هو ما أعطى خطابه البعد التداولي, حين يحتج لارتباط الأنسان بارضه وهي حجة مقنعة للسامع تبيّن مدى اشتياقه لموطنه , لكن سياق الخطاب يحيلنا تداولياً إلى أن المتكلم يُلمّح بأسلوب الشكوى إلى خطورة القضية التي وكلت إليه .

4- **آلية المكاشفة** : ومنها كشف الذات وهو عنصر من عناصر تقوية الخطاب ودليل حجاجي لا يمكن التشكيك فيه من قبل الطرف الآخر, ((فاستعمال الصراحة مع مرسل اليه معين هو دليل على التضامن والثقة فيه))[28] , وقد اعتمدها صاحب الرسائل في اكثر أقواله ليجعل من كشف الذات مصدر قوة لحجته على الآخر مع ان هذا التصريح يضمر معاني حقيقية أخرى أرادها أن تستقر في ذهن السامع منها معنى القوة والقدرة على التصريح بما يجول في نفسه, ومثال ذلك قوله في رثاء حبيبته قينية [29] :

(من الطويل)

وقُل للتي هام الفؤادُ بِحُبّها أَلا في سبيلِ اللهِ نفسُ المتيَّمِ
وما بَعَث الوجدَ الدخيلَ كمنزلٍ بهِ من مَعاني الوجْدِ كل مُترجَمِ
وما ابصرتْ عيني محلاً حللْتهِ ولا معهداً إلاَّ سفكْتُ بهِ دمي
ولم تُبق تلك المنازلُ عَبرةً على أنَّ قلبي في المدامعِ يَنهَمي

على الرغم من ان ابن أبي الخصال رجل فقه ودين , إلا أن صدق مشاعره فرضت عليه الكشف عمَّا في صدره من حب وشوق لمن فارقته بل يصرّح بتمني الموت بعدها .

ولان تقنية كشف الذات تعتمد على مدى قرب المتكلم من المرسل اليه, يج ليتحدث عنها بلسان غيره كما في قوله[30] :

(من الكامل)

هملت عليكِ العين إذ أقررتها ومن الوفاء بعهدها أن تهملا
لم تبق لي في العيش بعدك لذةٌ ولئن أمرَّ مذاقُه في ما حلا

يسرُد الكاتب على لسان حال غيره (العين) أحاسيس الحسرة والألم ويتركها تنوب عنه في الكشف عن ذاته المتوجعة , وهي حجة ذكيه يتقبلها السامع ويُصدقها, غير إنها محاولة للتقرب من المرسل اليه .

5-**اسلوب التعجب:** ويستعمل بوصفه آلية حجاجية لإقناع المرسل إليه بقضية ما ((تمثل اساساً مزاج المتكلم أو مواقفه أو رغبته , وهي على ما هو مفترض , تمثل التعبير العفوي عنها))[31], وهي آلية لغوية متداولة بشكل كبير في رسائل ابن أبي الخصال , يقول في خطبةٍ له يقلل من شأن الدنيا وبمن فتن بها : ((...**أيُّ مَصونٍ منكم لم تنلهُ بهتكٍ, أم أيُّ منيعٍ لم تَغُلهُ بفتكِ , أم أيُّ مصافٍ لها لم تُذلهُ بنبذٍ وتركٍ ؟! فأنفضوا – رحمكم الله – أيديكم بها نفضاً , واجمعوا لها – كما رفضتكم – رفضاً , واستبدلوا من نصب غرورها بالزهدِ فيها ودَعةً وخفضا**))[32] , استعمل الخطيب أسلوب التعجب لإقناع جمهوره بحقيقة امر الدنيا وحالها المتقلب , إلا انه يحمل شيئاً من التحايل والمراوغة في توجيه الناس إلى طاعة الأمير وخدمته .

ويتحدث عن ايام عمره الماضية فيقول[33] :

(من المنسرح)

يا حبَّذا ليلةٌ لنا سلفت — أغرت بنفسي الهوى وقد عرفتْ

دارت بظلمائها المدامُ فكم — نَرْجسةٍ من بنفسَجٍ قُطِفَتْ

ثم انطوى ثوبها ومن أسفٍ — أنْ صرفَتْ لوعَتي وما انْصرفت

لقد استعمل الشاعر اسلوب التعجب بغرض تنبيه المرسل اليه وتحذير ,بحجة الذات يكشف عن أعمالٍ بات الأن أسفا عليها والدليل تضمين خطابه المؤشرات (الليل , اغرت, بظلمائها , أسفٍ).

ثانيا: الآليات الغوية في الاستراتيجية التوجيهية

يعد التوجيه من الأساليب التي يتبعها المتكلم لغاية الإقناع أو التبليغ, إذ ينماز الخطاب الحجاجي من غيره بوصفه خطابا مبنيا وموجها وهادفا وليس لعب الفاظ أو نقل تجربة ذاتية وإنما يهدف فوق ذلك كله إلى الحث والتحريض [34], ومن الآليات التوجيهية التي وظَّفها ابن ابي الخصال لغرض الإقناع هي :

1- **التوجيه بأسلوبي الأمر والنهي** : يُعد التوجيه الحجاجي الأهم ((في توجيه الخطاب إما أمراً له بالفعل أو نهيا له عن ذلك وفي الأسلوبين أي الأمر والنهي طاقة حجاجية...لأنهما يهدفان الى توجيه المتلقي الى سلوك معين تحدده اطروحات الشاعر ومبادئه))[35] , ولأن

ابن أبي الخصال فقيه وخطيب ديني ؛ لذا يُعدُّ اسلوبا ألامر والنهي الأشهر في خطاباته مما أعطاها البعد التداولي في العملية الحجاجية , يقول ناصحاً : **((إن ابلغ الموعظة في القلوب وأولاها بدرك المطلوب كلام علام الغيوب. فإذا قُرئ القرآن فاستمعوا بيانه وأتبعوا قرآنه))**[36] , استعمل الكاتب أسلوب الأمر بهدف توجيه السامع إلى طاعة الله والتمسك بالدين, وتداولياً يشير الى طاعة الخليفة واتباع اوامره.

وله رسالة يمدح بها الأمير يوسف بن تاشفين يقول فيها [37] :

(من البسيط)

أبوك ناصرُ هذا الدين إذ خُذِلا ومنشِرُ العَدل لما مات أو قُتِلا

فكن على هديه الميمون مُحتملا وأَورِد الأمرَ مهما شئتَ مُشتَمِلا

ففي نصابكَ ما يكفي من النصَبِ

وفي هذا الخطاب توجيه واضح للأمير عن طريق صيغة الأمر (فكن) , فهو يحثُّه على اتباع خطى والده في توحيد المدن الأندلسية .

ولا يختلف التوجيه بأسلوب النهي عن الأمر, فكلاهما يدعي فعل الطلب وعليها يبني المتلقي قناعاته الحجاجية في تقبل أفكار الطرف الآخر وتبنيها . يقول ابن أبي الخصال في النهي عن الظلم ويبين عواقبه[38] : (من المنسرح)

ذو الظلم في ظلمه يفيظُ وهو على نفسهِ حفيــظُ

غِيظَ على كيدِهِ ولكِنْ لم يُذهب الكيدُ ما يغيـظُ

فاعملْ ولا تتكِل لدارٍ يحظى بها الملصق الوشيظُ

لا يستوي الراحمونَ حقاً والفـظُ حَيزُومُه الغليــظُ

منح الكاتب نفسه حق نصح الأخرين و ردعهم عن الظلم, والبس نفسه لباس الفقيه الناصح ؛ ليوجه المتلقي إلى طاعة أوامره وذلك في قوله: (فاعمل), واجتناب نواهيه في قوله: (ولا تتكل).

لم يوظف الكاتب هذه الآلية لتبليغ الناس اوامر الخليفة او لنهي الناس عن فعل ما بل استعملها ايضاً لبناء علاقاته الاجتماعية, يقول راثيا[39] :

(من الطويل)

وما مفزع المحزون إلا إلى البُكا وكُلُّ حزازات القلوب به تُقرَا

وفي وجد يعقوب بيوسف أُسوةٌ فلا تعذلوني اليوم عَبْرَةٍ تُذى

وهنا استعمل الشاعر (لا) الناهية دليل على حزنه الشديد وعظيم الفقد, فيبني واقعة الجديد واقع البكاء والعويل, وحتى لا يعترض عليه لائم يحتج بتشبيه حاله بحال يعقوب عليه السلام وهي حجة من شأنها أن تثير عاطفة المتلقي وتوجهه إلى غاية الخطاب الحقيقي وهو التضامن مع اهل المرثي .

2- **الاستفهام** : وهو من الآليات التي ارتكزت عليها رسائل ابن أبي الخصال تداولياً؛ للتأثير والإقناع وخرج فيها إلى معانٍ عدة بحسب السياق منها : الأنكار , الإثبات , التنبيه , الوعيد , وغيرها من المعاني المتداولة وما توفرهُ من طاقة حجاجية هائلة تدفع المتلقي إلى اتخاذ موقف معين من صاحب الخطاب, نحو قول ابن أبي الخصال في الفقيه أبي الحسن بن مُغيث[40] : (من البسيط)

الدَّهرُ ليس على حرٍ بمؤتمن وأيُّ عِلق تخطته يدُ الزمن؟

فالسؤال الذي افتتح به الأبيات خطاب إنكاري موجه إلى المتلقي وهو قضية الحياة والموت, ويوجهُ إلى الإقرار بعبثية التمسك بالدنيا, ومن الناحية التداولية تخفيف هول المصاب.

لذا يقول بعد هذه الأبيات[41] : (من البسيط)

في كل يوم فراقٌ لابقاء لهُ من صاحبٍ كرمٍ أو سيدٍ قمن

أعيا أبا حسن فقدُ الذين مضوا فمن لنا بالذي أعيا أبا حسن ؟!

ثم يعود أبي الخصال ويثبت للسامعين عن طريق التوجيه (فمن لنا ...؟) , فداحة المصاب بفقدِ سيدٍ جدير بالكرامة والأصالة, ويتعجب من استمرار الحياة بعد(أبي الحسن), إلا أن الخطاب يشير إلى حاجة الناس للفقيه الفقيد .

ويقول في ذم السلاطين وبيان مصائرهم [42] : (من السريع)

إن السلاطين الذين اعتلوا في حفرٍ هاوية قد هووا
نادهم : مالهُمُ بعدما قد طبقوا الأرضَ مضوا وانزوَوْا ؟
ما بال اغصانهم ذبلٌ ومالهم تحت الثرى قد ثوْا ؟

فهو يخاطب الخليفة بطريقة غير مباشرة, ويوجهه إلى تجنب التخاذل في صد المعتدين وان الرجال تُخلد بأفعالها البطولية, ومواقفها الشجاعة في اتخاذ القرارات, وصنع الانتصارات, وإلا أين السلاطين الذين مضوا ؟ ماتوا ومات ذكرهم.

ثالثا–الآليات اللغوية التلميحية:

يُعدُّ الحجاج بالتلميح هي وسيلة من وسائل الإقناع التي قد يلجا إليها المتكلم بوصفها حجة على فرضية معينة , يحاول المرسل الاحتجاج بها في خطابه الموجه بهدف التأثير والأقناع, ومن هذه الآليات :

1- **التلميح بـ (حتى)** : وهي من الأدوات التي تدرج الحجج القوية في ترتيب معين تفرضها وجهة نظر المتكلم , ونجدها في قوله [43] : (من البسيط)

في امر (قورِيّة) سِرٌّ ومعتبرُ هل للكواكب في استفتاحها أثرُ
حتى انتحاها أبو إسحاق والقدرُ وعزمةٌ مالهم من دونها وَزَرُ
كالسيل في الليل ذي التَّيار والحَدَبِ

وأراد من التلميح بـ (حتى) ؛ اخبار الناس أن لا ملجا لكم من الأعداء سوى الأمير يوسف بن تاشفين , فهو المخلِّص والمعتصَم لهم من الأعداء الطامعين بارضكم .

ويقول ايضا[44] : (من البسيط)

...

اختاره الله من علمٍ ومكنه فزلزل الشرك , والاسلام سكنه
حتى تبوأَ عند الله مأمنهُ صلى الإله على تربٍ تضمنهُ
فكل مَعلوةٍ من ذلك التربِ

ويهدف من التلميح ب (حتى) , إلى زوال مجد دولة المرابطين مع موت الأمير يوسف , وهو تبليغ إلى الناس للحذر من الأيام القادمة .

ويقول في رسالة له : ((**هل كان الدهر– لو اعتبرناه – إلا سواءً ظلاما وضياء, وإصباحاً وإمساءً, ولياليِ ترتدونها بين بيض وجون, وقمراً قُدر منازِلَ حتى عاد كالعرجون, وأياماً طُبعت أشكالاً, وحذيت أشباهاً,...**)) [45] , وأراد من التلميح بـ (حتى) أن يحث السامعين إلى ترك حب الدنيا فهي وكل ملذاتها إلى زوال في شرها وخيرها, وأن الأمور وان بدت جميلة كالقمر ستتلاشى يوما وتزول _ فاتقوا الله .

2- **التلميح بـ (إنما)** : وتعد مؤشرا قويا لتحفيز المتلقي ((لإن إنما في مقام التعريض وسيلة مؤدبه ومؤثرة معاً,فضلاً عن ايجازها))[46], والحجة التي تدرجها إنما من الحجج القوية التي يصعب إبطالها أو تفنيدها, كما في قوله[47] :

(من الرمل)

...

ما على المسكِ ولا البدرِ ولا الصـ ـبحِ من إذنٍ إذا الصبحُ أنبلجْ ؟

إنما انت متى تُهدي شذىً في سنى بالقلبِ والروحِ امتزجْ

ففي هذا الخطاب تلميح للمخاطب بأنه قريب جدا من نفس الشاعر , فالتلميح ب إنما مؤشرا قويا على ما يجول في نفس المتكلم وان بالغ في مدح المرسل اليه , إلا أنه قد نال قبوله.

وقد يكون التلميح بـ (إنما) القصد منه توجيه المخاطب الوجه الصحيحة التي يريدها صاحب الخطاب نحو قوله : ((**ليس الودُّ – اعزك الله– بتزويق اللسان ولا تنميق البنان ... وإنما هو ما وقر في الفؤاد ورسخ في الاعتقاد , وثبت في مواطن الاعتداد, ولبس الجدة والقدم وخامر اللحم والدم , وتلك سبيلنا المستمرة وحالنا المُستقرة, التي لا تنفصم – بحول الله**)) [48] .

يعرض لنا ابن ابي الخصال جملة من المواعظ والحكم يوجهها إلى المتلقي في تتابع وتلاحق للأفكار والحكم ويلمح باستعمال الأداة (إنما) إلى نفسه في إشارة إليها (وتلك سبيلنا) , ويقصد تعريف السامع بشخص ابن ابي الخصال .

3- **التلميح بـ (لو)** : وهي من الروابط القوية التي يُستدل بها على غاية المتكلم , والحجة التي تأتي بها من الحجج القوية التي تكون في العادة معروفة لدى المرسل إليه والمُخاطِب إنما يلمح إليها . من ذلك لابن أبي الخصال مرثية في أخيه مروان عبد الملك يقول فيها[49] :

(من الكامل)

الصبر أجملُ لو أطقت الأجملا وأخفُّ لو صدق التجمُّل محملا

يا واحداً عَمَّ ا لجميع مصابهُ ما كنت إلا عارضاً متهللا

قُدمت قبلي في الوفاة وهكذا يتقدم الأخيار أوَّلَ أوّلا

يلمح الكاتب باستعمال(لو) إلى قلة صبره و جزعه لما أصابه من الم وحزن مفجع ويدعوها الى التحلي بالصبر والايمان , لذا يهون على نفسه ويحتج عليها بأن مصابه هو مصاب الناس جميعاً, لأنه اهل للفضائل والمكارم , وهو علة لتقدمه في الوفاة . ويمكننا تمثيل استعمال لو بالشكل الآتي:

لو اطقت الصبر ← لكان المصاب اخف ← لكنك لم تصبر

إذن :

- النتيجه : انت غير صبور
- التلميح : إلى انعدام الصبر

ويقول مادحا الملك يوسف بن تاشفين بعد رجوعه منتصرا[50] :

... (من البسيط)

وجحفلين اعضَّ الكفر حَدَّهما رمى بك اللهُ بُرجيها فهدَّمها

ولو رمى بك غير الله لم يُصبِ

استعمل ابن أبي الخصال (لو) للتلميح إلى انتصارهم بفضل قوة وصلابه وجدارة الأمير يوسف , وهذا دليل على معرفة المرسل القريبة بالمرسل إليه, وحجه للمتلقي لتقبل أقواله وتصديقها , ويمكن تمثيلها كالاتي:

لو غير الأمير يوسف قاد المعركة ما تحقق النصر لكنه قاد المعركة

إذن:

- تحقق النصر
- التلميح إلى أن نصر العرب الأندلسيين كان بفضل الأمير يوسف

خاتمة البحث ونتائجه : ويمكننا أن نخلص في نهاية البحث الى ان التداولية بوصفها نظرية تهتم بلغة الخطاب الحجاجي هي نظرية تكشف للقارئ المعاني الحقيقية التي تستتر خلف أبنية الخطابات المتوالية لتحقيق غايات قائليها في التواصل والتقرب من السامع, لذا فقد كشف البحث عن عدد من النتائج وهي كالآتي:

1- شكلت رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي دلالات ومعاني تداولها برؤيته وفلسفته الخاصة مررها إلى سامعيه من خلال الآليات اللغوية التي اعتمدها لإقناع جمهوره.

2- أدت الآليات الإقناعية في الاستراتيجية التضمينية دورها الذي أراده صاحب الرسائل في توجيه السامع والتضامن معه وجعله اكثر قربا منه لتصديق أقواله واعتمادها.

3- وظف ابن ابي الخصال الاستراتيجية التوجيهية في خدمة السلطة ودفع الناس إلى طاعتها.

4- شكلت تقنيات الإقناع المتمثلة في الآليات التلميحية دورها في سبك النص الحجاجي وزيادة إمكانية التأثير والقبول بالأفكار المطروحة من قبل المرسل.

<u>الهوامش</u>

* – ابن ابي الخصال : شاعر اندلسي , وهو: ابو عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة بن فرج بن مجاهد الغافقي المشهور بابن أبي الخصال , وهو رجل علمٍ وفكرٍ وادب؛ وقد لقب بذي الوزارتين ؛ لنبوغه في (النثر والنظم) عاش ومات في شمال قرطبة (465– 540 هـ). ينظر: رسائل ابن ابي الخصال :9 , وينظر : الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائها : 2/ 225 .

1- معجم مقاييس اللغة : مادة دول, 2/ 314-315

2- التداولية في البحث اللغوي والنقدي : 15

3- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي :393

4- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم : 354

5- الحجاج في القران الكريم :33

6- ينظر : اللغة والحجاج : 16

7- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي , أ.بوزناشة نور الدين , مجلة علوم انسانية ,السنة السابعة, العدد 44 , لسنة 2010 م :18

8- ينظر : بلاغة الخطاب وعلم النص : 20

9- آليات الحِجاج في خطب الحَجاج , دراسة تداولية, محمد اشكيمة , ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر, كلية الآداب , قسم اللغة العربية ,جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي , الجزائر, 2016 م :89

10- ينظر : دولة الإسلام في الاندلس :3/ 206

11- رسائل ابن ابي الخصال : 41

12- المصدر نفسه : 45

13- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية :273

14- المصدر نفسه : 284

15- رسائل ابن ابي الخصال : 73

16- التداولية مقاصد وآداب :92

17- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:287

18- رسائل ابن أبي الخصال : 526-527

19- التماسك النحوي في مجموعة(و..)لـ (عدنان الصايغ) , دراسة في ضوء علم اللغة النصي, الدكتور مؤيد مهدي فيصل ,مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية , جامعة ذي قار , العدد:11, المجلد 2 , لسنة :2021م .

20- رسائل ابن ابي الخصال :649

21- المصدر نفسه :267

22- المصدر نفسه: 267

23- المصدر نفسه :367

24- المصدر نفسه :509

25- المصدر نفسه:664

26- المصدر نفسه:495

27- المصدر نفسه :519

28- استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية:302

29- رسائل ابن أبي الخصال: 267

30- المصدر نفسه:659-660

31- القاموس الموسوعي للتداولية :55

32- المصدر نفسه:526-527

33- المصدر نفسه:638

34- الظواهر الحجاجية في شعر تميم البرغوثي (مقاربة تداولية في قصيدة القهوة) ,عابد بن سحنون, مجلة اشكالات في اللغة والادب, مجلد :10, العدد:1, لسنة 2021م : 1138

35- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه :149

36- رسائل ابن ابي الخصال : 529

37- المصدر نفسه:43

38- المصدر نفسه:381

39- المصدر نفسه: 647

40- المصدر نفسه : 664

41- المصدر نفسه :664

42- المصدر نفسه : 387

43- المصدر نفسه : 41

44- المصدر نفسه : 44

45- المصدر نفسه : 657

46- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغويه تداوليه:387

47- المصدر نفسه : 415

48- المصدر نفسه :73

49- المصدر نفسه :657

50- المصدر نفسه :42

المصادر والمراجع:

1- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية , عبد الهادي بن ظافر الشهري , دار الكتاب الجديد المتحدة, ط1, بيروت – لبنان ,2004 م.

2- اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم , مجموعة مؤلفين , اشراف : حمادي صمود, جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية , تونس.

3- بلاغة الخطاب وعلم النص , صلاح فضل , عالم الفكر , الكويت , دط , 1992م.

4- التداولية في البحث اللغوي والنقدي , بشرى البستاني , ط1 , مؤسسة السياب , لندن ,2012 م .

5- التداولية مقاصد وآدب . صبري إبراهيم السيد , ط1 , مكتبة الآداب , القاهرة , 2019 م .

6- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي , أ.بوزناشة نور الدين , مجلة علوم انسانية ,السنة السابعة, العدد 44 , لسنة 2010 م.

7- الحجاج في الشعر العربي , بنيته واساليبه , ساميه الدريدي ,ط2 , عالم الكتب الحديث , اربد – الاردن , 2011 م.

8- الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصائصه الأسلوبية , عبد الله صولة ,ط2, دار الفرابي , بيروت , 2007 م .

9- دولة الاسلام في الاندلس, محمد عبد الله عنان, مكتبة الخانجي , القاهرة , 1997م.

10- رسائل ابن ابي الخصال , الكاتب الفقية ابي عبد الله ابن ابي الخصال الغافقي الاندلسي , تحقيق محمد رضوان الداية ,ط1, دار الفكر , دمشق , 1988م.

11- الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائها , لأبي القاسم ابن بشكوال (ت578 هـ) , تحقيق : بشار عواد معروف , دار الغرب الاسلامي , تونس , ط1 , 2010م.

12- القاموس الموسوعي للتداولية , جاك موشلر وريبول آن, تر: مجموعة من الباحثين بأشراف عز الدين المجدوب, دار سياترا, ط2, تونس , 2010 م.

13- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي , طه عبد الرحمن, المركز الثقافي العربي , ط1, بيروت , 1998 م .

14- اللغة والحجاج , ابو بكر العزاوي , العمدة في الطبع , ط1 ,2006 م.

15- معجم مقاييس اللغة , ابي الحسن احمد بن زكريا ابن فارس (395) , تحقيق: عبد السلام محمد هارون , دار الفكر , القاهرة , 1979 م .

المجلات الدورية:

1- الحجاج في الدرس اللغوي الغربي , أ.بوزناشة نور الدين , مجلة علوم انسانية ,السنة السابعة, العدد 44 , لسنة 2010 م

2- التماسك النحوي في مجموعة(و..)لـ (عدنان الصائغ) , دراسة في ضوء علم اللغة النصي, الدكتور مؤيد مهدي فيصل ,مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية , جامعة ذي قار , العدد:11, المجلد 2 , لسنة :2021م .

الاطاريح والرسائل الجامعية:

- آليات الحِجاج في خطب الحَجاج , دراسة تداولية, محمد اشكيمة , ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر, كلية الآداب , قسم اللغة العربية ,جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي , الجزائر, 2016 م